

أضواء البيان

. @ 363 @

وهذه الآية بقسميها جاء نظيرها بقسميها أصرح من ذلك في قوله تعالى { وَيُنْذِرُ لُـ عَلَٰيِكُمْ مِّنَ السَّيِّئَاتِ مَآءٌ مَّآءٌ لِّسِّيْطَهِمْ رَّكُّمٌ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رَّجْزَ الشَّيْطَانِ } وإِ تعالٰى أعلم . . .
وقد جعل الشافعي هذه الآية دليلاً على الطهارة للصلاة . قوله تعالى : { فَإِذَا نُقِرَ فِي النِّقَاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمٌ مَّئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ } . الناقور هو الصور ، وأصل الناقور الصوت ، وقوله : { يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ } . . .
وقيل : عسير وغير يسير على الكافرين . . .

وقال الزمخشري : إن غير يسير كان يكفي عنها يوم عسير ، إلا أنه ليبين لهم أن عسره لا يرجى تيسيره ، كعسر الدنيا ، وأن فيه زيادة وعيد للكافرين . . .
ونوع بشارة للمؤمنين لسهولته عليهم ، ولعل المعنيين مستقلاً ، وأن قوله تعالى : { يَوْمٌ عَسِيرٌ } هذا كلام مستقل وصف لهذا اليوم ، وبيان للجميع شدة هوله ، كما جاء في وصفه في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَدِيدَةٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرْوُهَا تَذْهَبُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَا يَأْكُلُونَ عَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ } ، ومثل قوله تعالى { يَوْمٌ عَسِيرٌ } يَفْرَرُ الْمُرءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ { ونحو ذلك . . .

ثم بين تعالى أن اليوم العسير أنه على الكافرين غير يسير ، كما قال تعالى عنهم { فَكَيِّفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا السَّيِّئَاتِ مُنْفَطِرٌ بِهِ } بينما يكون على المؤمنين يسيراً ، مع أنه عسير في ذاته لشدة هوله ، إلا أن إ يسره على المؤمنين ، كما بين تعالى هذه الصورة بجانبها في قوله تعالى من سورة النمل : .

{ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ } إلى قوله { مَن جَاءَ بِآلِ حَسَنَةٍ فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ وَمَن

جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبِّتْ وَجُوهُهُمْ فِي الدَّارِ هَلْ تَجْزَوْنَ إِلَّا مَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ { .